حق غريق
في بحر من الباطل

لا مرية في أن يعجب بعض الناس أن ينتحل أقوالاً يعزوها لغيره ، أو يبدع من نسج خياله صوراً لا تمت إلى واقع الأمر بصلة، ثم لا تلبث هذه الأقوال أو هذه الصور أن تأخذ على توالي الأيام عند بعض الناس صفة الحقيقة، فينقلها مفترضاً صحتها من غير أن يتعرض لها بتحقيق أو على الأقل يقدمها في ثوب من الحيطة والحذر كما تقضي الأمانة العلمية .

ومن ذلك ما وقع به ابن أبي أصيبعة في كتاب طبقات الأطباء نقلاً عن اسحاق بن حنين خاصًّا بنسطاس ومرين ذلك وفسطاس وارسطو طاليس اليكم مما سيأتي ذكره. وأثبت أستاذنا الجليل حضرة صاحب المعالي احمد لطفي السيد باشا في تصديره لكتاب الأخلاق لأرسطو انه مستحيل بقوله :

« والواقع ان أرسطو لم ينتقل مدة الطلب من أثينا ، وكانت أثينا طوال ذلك الحين جمهورية ليس فيها ملك، فلم يأمر أفلاطون بتعليم ابنه، ولا ابن ملك ليعلمه أفلاطون فيتلقف أرسطو، الذي جعلته هذه القصة خادماً ما كان يلقيه الاستاذ على ابن الملك، كل ذلك لم يكن، بل لم يكن منه إلا شيء واحد هو ان الشاب أرسطو ذكي نجيب . وهذا حق غريق في بحر من الباطل »

وبعد : فأقدم القصة نفسها نقلاً عن كتاب طبقات الأطباء نفسه مردفة بمقالة ارسطو او المنسوبة إلى أرسطو في ذلك اليوم . وإني إذ أنشر بعد القصة هذا المقال المنتحل حقًّا ، والذي هو من غير نزاع لأرسطو لا أقصد من نشره التعرض له من جهة الباعث الذي حمل اسحاق او حنين اسحاق على إسناد هذا القيل الى ذلك الاسم الضخم، اسم ارسطو طاليس، وانما مقصودي من نشر هذا المقال هو أن أسهل الاطلاع على هذا المقال المنتحل لمن يحب أن يوازن القصة في مجموعها على ضوء ما فيه من حكم وآداب . ولمن يحب أن يلقح فهمه بهذه النتائج السامية أن أضع بين يديه هذه المادة العزيزة ، فمالنا بها على من سوف يقرؤها لمجرد التسلية، من غير أن يأخذ نفسه بالرياضة عليها، فقد كان أرسطو يرى والحق ما يراه انه لا فائدة من العلم إذا هي التسلية عما نظريًّا دون رياضة النفس على حيازتها واستعمالها. واليكم الآن القصة وما سنشر حنين من إجابة لأرسطو طاليس في ذلك اليوم .

اتخذ برفسطانس الملك بيتاً للحكمة وعرشه لابنه فطاليوس وأمر أفلاطون بملازمته

وتعليمه، وكان نطافورس غلاماً منحطاً قليل الفهم بطيء الحفظ ، وكان أرسطوطاليس غلاماً يتيماً قد سمت به همته الى خدمة أفلاطون الحكيم، وكان ذكيًّا فهماً جادًّا مجيداً. وكان افلاطون يعلم نطافورس الحكمة والآداب فكان ما يتعلمه اليوم ينساه غداً ولا يعبر حرفاً واحداً . وكان أرسطوطاليس يتلقف ما يلقى الى نطافورس فيحفظه ويرسخ في صدره ويعي ذلك سرًّا من أفلاطون ويحفظه، وأفلاطون لا يعلم بذلك من سر أرسطوطاليس وضميره، حتى اذا كان يوم العيد زين بيت الذهب (١)

وألبس نطافورس الحلى والحلل وحضر الملك روفسطانس وأهل المملكة وأفلاطون وتلاميذه فلما انقضت الصلاة صعد أفلاطون الحكيم ونطافورس الى مرتبة الشرف ودراسة الحكم على الاشهاد والملوك ، فلم يؤد نطافورس شيئاً من الحكمة ولا نطق بحرف من الآداب فأسقط في يد افلاطون ، واعتذر الى الناس بأنه لم يتحن حله، ولا عرف مقدار فهمه ، وانه كان واثقاً بحكمته وفطنته، ثم دعا من يثوب عن نطافورس من تلاميذه فقام ارسطوطاليس وصعد الدرج بغير زينة ولا [illegible] وأتى بأنواع الحكمة والآداب التي أتمام افلاطون الى نطافورس لم يترك منه حرفاً فقال افلاطون للملك : هذه هي الحكمة التي نقشتها نطافورس قد وعاها أرسطوطاليس سرًّا فما حبلتي في الرزق والحرمان . وكان الملك في ذلك اليوم يرضع ابنه الملك فأمر باصطناع أرسطوطاليس ولم يرضع ابنه للملك وانصرف الجمع في ذلك عن استحسان ما أتى به أرسطوطاليس والتعجب من الرزق والحرمان .

مقالة أرسطوطاليس وما نُسب اليه في ذلك اليوم

لبارئنا التقديس والاعظام والاجلال والاكرام .

أيها الاشهاد : العلم مرهبة الباري ، والحكمة هبة من إعطي ويمنع ، ويحط ويرفع ، والتفاضل في الدنيا والتفاخر بها بالحكمة التي هي روح الحياة ومادة العقل الرباني العلوي .

أنا ارسطوطاليس ابن فيلوبيس اليتيم خادم نطافورس ابن الملك الحليم . حفظت ووعيت والتسبيح والتقديس لمعلم الصواب ومسبب الاسباب .

أيها الاشهاد : بالعقول تتفاضل الناس لا بالاصول ، وعيت عن افلاطون الحكيم : الحكمة رأس العلوم ، والآداب تلقيح الافهام ونتائج الاذهان ، وبالفكر الثاقب يدرك الرأي المصيب ، وبالتأني تسهل المطالب ، وبلين الكلام تدوم المودة في الصدور ، وبخفض

(١) يقال ان الملوك من الى اية وضعوه كانت تعلم أولادها الحكمة والفلسفة في بيوت الذهب هذه وكانت هذه البيوت تزين بالصور لارتياح التلاميذ اليها . فيحدق النظر الى رؤيتها فاذا حفظ الغلام من أولاد الملوك علماً أو حكمة أو أدباً صعد على منبر في يوم العيد أمام أهل المملكة بعد انقضاء الصلاة ويتكلم بالحكمة التي حفظها على رؤوس الاشهاد وعلى التاج وحال الجوهر وبعد ذلك يعد حكيماً على قدر ذكائه وفهمه

الجناح ثم الأمور ، وبسعة الأخلاق يطيب العيش ويكمل السرور ، وبحسن الصمت جلال الهيبة ، وبالعناية بالمنطق يعظم القدر ويرتقي الشرف ، وبالانصاف يجب التواصل ، وبالتواضع تكثر المحبة ، وبالعفاف تزكو الاعمال ، وبالافضال يكون السؤدد ، وبالعدل يقهر العدو ، وبالحلم تكثر الانصار ، وبالرفق تستخدم القلوب ، وبالايثار يستوجب اسم الجود ، وبالانعام يستحق اسم الكرم ، وبالوفاء يدوم الاخاء ، وبالصدق يتم الفضل ، وبحسن الاختيار تضرب الأمثال ، والايام تفيد الحكم . بالتودد يستوجب الزيادة من عرف نقص الدنيا ، ومن اتساعات تتولد الآفات ، وبالعافية يوجد طيب الطعام والشراب ، وبالخمول للكاره ينتقص العيش وتتكدر النعم ، وبالمنّ يكدر الاحسان ، وبالجحد للانعام يجب الحرمان ، صديق الملول زائل عنه ، الحسود يخلق خاطر صاحبه ، الضيق الباع قصير النظر ، البخيل ذليل وإن كان غنيًّا والجواد عزيز وان كان مقلاً ، الطمع الفقر الحاضر ، اليأس الغنى الظاهر ، لا أدري لصف العلم والصرعى في الجوانب توجب العثار ، التروّي في الامور يعث على البصائر ، الرياضة تشحذ القريحة ، الأدب يغني عن الحسب ، التقوى شعار العالم ، الرياء لبوس الجاهل ، مقاساة الأحمق عذاب الروح ، الاستهتار بالنساء فعل الوكي ، الاشتغال بالغائب تضييع الاوقات ، التعرض للبلاء مخاطر بنفسه ، التأني سبب الحمرة ، الصبر تأييد العزم وثمرة الفرج وتحقيق الظنة ، صديق الجاهل مغرور ، المخاطر عاثب ، من عرف نفسه لم يضع بين الناس ، من زاد علمه على عقله كان علمه وبالاً عليه ، التجرب أحكم من الطبيب ، إذا فاتك الأدب فالزم الصمت . من لم ينفعه العلم لم يأمن ضرر الجهل ، من تأنى لم يندم ، من افتخر ارتطم ، من عجل تورّط ، من تفكر سلم ، من روى غنم ، من سأل علم ، من حمل ما لا يطيق ارتبك ، التجارب ليس لها غاية والعاقل منها في زيادة ، للسعادة على كل أحد سلطان ، وكل شيء يستطاع نقله الا الطباع ، وكل شيء تتهيأ فيه حيلة الا القضاء ، من عرف بالحكمة لحظته العيون بالوقار . قد يكتفى من سمط البلاغة بالايجاز ، يؤتى الناطق من سوء فهم السامع ، من وجد برد اليقين أغناه عن المنازعة في السؤال ، ومن عدم درك ذلك كان مقصوراً بالجهل ومقروناً بعجب الرأي . ومعدولاً بالهوى عند باب الثبت ، ومصروفاً بسوء العادة عن تفضيل التعليم ، الجزع عند مصائب الاخوان أحمد من الصبر وصبر المرء على مصيبته أحمد من جزعه ، ليس شيء أقرب الى تغيير النعم من الاقامة على الظلم ، من طلب خدمة السلطان بغير أدب خرج من السلامة الى العطب الارتقاء الى السؤدد صعب ، والانحطاط الى الدناءة سهل »

تلك هي القصة وهذه هي المقالة ولدي بنشرها أصادف مَنْ نفسه مستعدة لهذه الكلمة ملاءمة لها فتهدي بهديها ، وهذا آخر غرضنا من نشرها والسلام .

منصور رجب
المدرس بكلية أصول الدين